

التحديات التي واجهت مؤسسة الوزارة العباسية في القرن الخامس الهجري

م. رضاب حاتم ياسين
جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المستخلص

في تأريخ الدولة العباسية وخصوصاً عصورها المتأخرة ترتبط قوة الخلافة وضعفها بقوة وضعف مؤسسة الوزارة، لذا نجد أن الدويلات القائمة في أطراف الخلافة، والتي تتمتع بالقوة والنفوذ تسعى جاهدة لإضعاف مركز الخليفة بإضعاف مكانة الوزير وتحجيم دوره والتقييد من صلاحياته وهذه ظاهرة ملحوظة ابتداءً من القرن الرابع الهجري. ويتناول هذا البحث مرحلة مهمة من تاريخ الخلافة حيث واجهت مؤسسة الوزارة تحديات عظيمة تعددت أطماعها ووسائل استهدافها بغية الهيمنة على الخلافة، وقد تعرض البحث لتلك الأطماع وما قامت به مؤسسة الوزارة من إفشال تلك المخططات، إلا أن قوة تلك التحديات كانت أقوى وأشد، فدفع بعض الوزراء حياته ثمناً لتلك المحاولات وكان نصيب الآخرين العزل والسجن.

Abstract

Challenges that faced the establishment of the Abbasinnyan Ministry in the fifth century of Higraph

This research deals with a very important stage in the history of Abbasinnyan Khilapha (period) as the ministry institution faced huge challenges since the greediness and targets had been varied in order to occupy the Khilapha. The research has discussed those greediness and what the ministry institution had done to fail these plans (plots). Still (However), the challenges were stranger and hard so that some ministers had been killed as a result to these plots, others had been fired or had been put in prisons. (jails).

المقدمة

الوزارة كلمة عربية، وأصل اشتقاقها إما من الوزر ويعني الثقل أو مأخوذة من الإعانة أو الملجأ^(١)، وفي الاصطلاح هي مؤسسة إدارية استخدمت لأول مرة في العصر العباسي، فالوزارة (لم تتمهد قواعدها وتنقرر قوانينها إلا في دولة العباس، فأما ما قبل ذلك فلم تكن متقنة القواعد ولا مقررة القوانين، بل لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجي والآراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى الوزير، فلما ملك بنو العباس تقرر قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيراً، وكان من قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً^(٢) وكان الوزير في الدولة العباسية المدير الأول للأمور السياسية والإدارية، لا تعلو على كلمته إلا كلمة الخليفة^(٣)، وهذا واضح من كلام ابن خلدون^(٤) فلما جاءت دولة بني العباس عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد، وثبتت مرتبته في الدولة، وجعل له النظر في ديوان الحسبان لما يحتاج إليه من قسم الاعطيات في الجند، ثم حصل له النظر في العلم والترسل لصون أسرار

السلطان، وجعل الكاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذباج والشباج دوفع إليه فصار اسم الوزير لخطتي السيف والقلم^(٩) وفي عهد الخلفاء الأوائل من بني العباس عظم شأن الوزير وانتعشت الوزارة وظهرت عليها سمة الوقار، حيث كان الوزير عالي الهمة حسن التدبير ينظم خزينة الدولة وينظم قوانين الوزارة مع النزاهة والعفة والحكمة^(١٠)، وشهد التاريخ السياسي في عصر قوة الدولة ظهور عدة أسر تولت الوزارة وأعلنت من شأنها كالبرامكة^(١١) الذين أصبح الناس يلجأون إليهم في قضاء حوائجهم، وتغننت بأفعالهم الشعراء^(١٢)، وأسرة آل سهل^(١٣) الذين تولى بعض أفراد هذه الأسرة الشؤون الإدارية والمالية والسياسية والعسكرية^(١٤)، حتى لقب الفضل بن سهل^(١٥) بذي الرياستين لأنه جمع السلطات الإدارية والمالية^(١٦)، ثم بعد ذلك بدأت شمس الوزارة بالغروب، ابتداءً من عصر المقتدر^(١٧)، حيث ظهر وزراء يعدون مثلاً سيئاً لانهطاط الوزارة، فأهملت الجوانب الإدارية والمالية^(١٨)، وفي خلافة الراضي^(١٩) ظهر منصب أمير الأمراء^(٢٠) حيث تلاشى شأن الوزارة، وصار بعضهم تابع للأمير^(٢١) وفي عصر تسلط البويهيون (٣٣٤-٤٤٧ هـ)^(٢٢)، ضعفت هيبة الخلافة ومعها ضعف شأن الوزير فأصبحوا يعينون الوزراء والولاة وكبار الموظفين ويعزلوهم حيث شاءوا ولم يبق للخليفة الا كاتب^(٢٣)، وهذا لا يعني خلو هذا المنصب من الوزراء الأكفاء^(٢٤)، إلا ان السيطرة البويهية أقصت كل من يقف في وجه مطامعها، فتدهورت الوزارة بشكل ملحوظ في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وبدأت التحديات تظهر على هذه المؤسسة.

المبحث الأول

وضع مؤسسة الوزارة في صراع القوى السياسية

اتسمت مرحلة أوائل القرن الخامس الهجري بتحديات كبرى لم تألفها الخلافة العباسية خلال عمرها الطويل، حيث تكالبت عليها القوى الداخلية والخارجية كل منها يستهدف وجود هذه الدولة ووجودها السياسي.

ففي الداخل وصلت الدولة البويهية إلى مرحلة التدهور والتداعي خصوصاً خلال عهد جلال الدولة بن عضد الدولة بن بويه (٤١٨ هـ - ٤٣٥ هـ) (١٠٢٧ م - ١٠٤٣ م) حيث أصبح العوبة بين الجند الذين تحكموا بكل شيء، وامتد ذلك إلى ان نهبوا داره وهو لا يستطيع ردهم^(٢٥)، ونتيجة لهذه الحالة فقد ظهرت شخصية قوية لها سطوة كبيرة ومطامع كثيرة في السلطان والإدارة هي شخصية أبو الحارث ارسلان البساسيري^(٢٦)، الذي أصبح لا يقوى على رده الخليفة والملك البويهي^(٢٧)، وسبب ظهور هذا الرجل نتيجة الأحوال الاجتماعية السيئة التي كانت تعيشها بغداد وتسلط العيارين على الناس يهبون ويقتلون، فأسندت مهمة ضبط الجانب الغربي إليه من قبل الخليفة^(٢٨)، حتى لقب بكافل الخلافة^(٢٩)، وخطب له على المنابر وجببت باسمه الأموال^(٣٠)، هذا فضلاً عن التداعيات التي خلفتها الصراعات المذهبية في بغداد وبدأت نذر الانفجار من خلالها^(٣١)، بالرغم من الإجراءات التي اتخذها الخليفة القادر بالله (٣٨٩-٤٢٢ هـ)^(٣٢) في المنشور القادري الذي حد من نشاط أهل الاعتزال^(٣٣) واستتابة فقهاءهم وأمرهم بترك التدريس والمناظرة^(٣٤)، والرد على الاتجاهات الفكرية الأخرى وبيان موقف الخلافة من تلك الاتجاهات في العقيدة الإسلامية وإلزام الجميع العمل وفق نصوصه^(٣٥).

أما خارج عاصمة الخلافة فإن الخطر كان محدقاً من المشرق والمغرب وضمن رقعة الدولة الإسلامية المترامية.

ففي المشرق ظهر نفوذ السلاجقة^(٣٦)، فقد استطاعوا في البداية وعلى يد زعيمهم طغرل بك^(٣٧) من إقامة دويلة لهم في خراسان وما يجاورها وذلك سنة ٤٢٩ هـ.

١٠٣٧ م^(٣٨)، ولم يكتف طغرل بك بذلك وإنما وتحت الظروف السيئة التي تمر بها الخلافة ان يوسع نفوذه في إيران^(٣٩)، وقام باحتلال نيسابور^(٤٠) عاصمة الغزنويين^(٤١) وأنهوا حكمهم سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م^(٤٢)، ثم توسعوا على حساب البويهيين الذين بدأت آثار الضعف بادية على كيان

دولتهم فاحتلوا الأجزاء الجنوبية الغربية التي فيها الوجود البويهى تمهيداً للظرف الذي سوف تساعدهم للدخول إلى العراق مقر الخلافة^(٣٩).

أما في الغرب فالخطر المحدق بالخلافة جاء من جانب الدولة الفاطمية^(٤٠) في مصر والشام، حيث كانت هذه الدولة تسعى للسيطرة على بلاد العراق والمشرق، ويدل ذلك على كثرة الدعاة الذين كان يرسلهم خلفاء الفاطميين إلى بغداد وغيرها من مدن المشرق ففي سنة ٤٢٥ هـ ١٠٣٣ م أستغل الخليفة الظاهر^(٤١) لإعزاز دين الله الوضع السيئ الذين كان يمر به الخلفاء وضعف بني بويه وتفاقم أمر الجند والعامّة في إشاعة الفوضى، فأرسل الدعاة إلى بغداد لتأجيج الموقف فاستجاب لهم كثير من الغوغاء^(٤٢)، وبعده قام المستنصر بالله باستمالة قريش بن مقلد^(٤٣) أمير الموصل إلى جانبه فأرسل إليه أعلاماً وخلعاً عام ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م^(٤٤)، وكذلك بعث دعائه إلى فارس وخرسان وما وراء النهر^(٤٥).

❖ هذا هو الواقع السياسي الذي كان على مرأى القائم بأمر الله^(٤٦)، ومسمع منه، ولا بد أن يتخذ اجراءً حازماً من أجل الخروج من هذا المأزق وإنقاذ الخلافة من الأخطار المحدقة بها داخلياً وخارجياً، فاهتدى إلى تعيين ابن المسلمة^(٤٧) وزيراً له، وترك له مطلق الصلاحيات للقيام بمسؤولية الخلافة وما يحيط بها من مخاطر، متجاوزاً بذلك الحضر الذي فرضه البويهيون منذ قرابة قرن من الزمان^(٤٨)، ويعود اهتمام الخليفة بابن المسلمة في النجاح الذي أحرزه في تكليفه بحمل رسالة الخليفة إلى أبي كليجار البويهى في شيراز عندما وصلت الأنباء إلى الخليفة بخضوع الأمير البويهى لدعاة الفاطميين وقيامه بالخطبة للمستنصر الفاطمي في الاحواز^(٤٩)، فقام أبو كليجار بالاستجابة لرسالة الخليفة وتحذير ابن المسلمة له من مغبة السير وراء الفاطميين بطرد الدعاة من شيراز وإخراجهم من مملكته^(٥٠). فبعد نجاح ابن المسلمة بهذه المهمة جعله الخليفة كاتباً له وذلك سنة ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م^(٥١)، وبعد مدة قصيرة ونتيجة لنباهة ابن المسلمة وقيامه بمهامه بصورة ملفقة للنظر عهد إليه بالنظر في أمور خدمته^(٥٢)، ثم في يوم الخميس الثامن من جمادى الأولى من عام ٤٣٧ هـ ١٠٤٥ م استدعى الخليفة ابن المسلمة إلى داره وقلده الوزارة، وخلع عليه، وحمله على بغله بمركب من ذهب وأمر الخدم والقضاة والعدول والحجاب والأعيان بالسير بين يديه إلى داره^(٥٣)، وتقديراً لمواهبه فقد لقبه الخليفة عام ٤٤٣ هـ ١٠٥١ م لقب (جمال الورى، شرف الوزراء)^(٥٤)، إلا أن القوى المناوئة لابن المسلمة لم يعجبها هذا التكريم، فقامت بتحريك الشارع البغدادي وإحداث الفتن المذهبية في السنتين ٤٤٤ هـ ١٠٥٢ م و ٤٤٥ هـ ١٠٥٣ م^(٥٥)، فأدرك ابن المسلمة أن الصراعات الداخلية وليدة القوى الخارجية التي تحاول إرباك الخلافة، وأدرك جلياً أن الدولة الفاطمية هي وراء أعمال الشغب الدائرة في عاصمة الخلافة، فأعاد قضية التشكيك بنسب الفاطميين، وأيدها العلويون والفقهاء والقضاة والشهود، وعمل بها عدة نسخ أرسلت إلى الأقاليم^(٥٦)، ويتضح من هذا مدى تقدير الوزير للمأزق الكبير الذي تمر به الخلافة، خصوصاً وأن الفاطميين كما أسلفنا أصبح لهم أعوان داخل بغداد، وأصبحوا يشرفون على العراق خصوصاً بعد سيطرتهم على حلب عام ٤٤١ هـ ١٠٤٢ م^(٥٧).

في هذا الوقت الحرج الذي أسندت فيه الوزارة لابن المسلمة، كانت الوزارة تواجه أخرج أيامها، فابن المسلمة أمام خليفة ضعيف ورث دولة مترامية الأطراف ولا حول ولا قوة له، فحمل هذا الحمل والعبي الكبير وأسنده إليه، والبساسيري الرجل القوي الطامع في المناصب والمؤيد للفاطميين، ومع كل القوى المذهبية المتصارعة،

فضلاً عن القوى الخارجية الطامعة في الخلافة كالسلاجقة والفاطميين، وعلى الوزير أن يحمل هذه الأعباء جميعاً ويخرج من ذلك بنتيجة مشرفة ترفع من هيبة الوزارة ثم الخلافة.

من خلال سير الأحداث التاريخية نجد أن الوزير قرر الركون إلى جانب السلاجقة القوة الصاعدة في مشرق الدولة، وتؤكد الأحداث التاريخية ذلك، ففي سنة ٤٤٦ هـ ١٠٥٤ م ثار الجند ببغداد نتيجة تأخر مرتباتهم، ونتيجة لذلك قرروا محاصرة دار الخلافة، فما كان من الخليفة حتى

هدد بالخروج من بغداد إلى حيث يعرف حقه^(٥٨)، وهذا التهديد يحمل انذاراً للقوى المعتدية بان الخليفة سوف يستعين عليهم بالسلاجقة خصوصاً وان البلدان كانت تتساقط تحت ضرباتهم، حتى خطب لهم في الموصل، واستيلاء حليفهم قريش بن بدران على الانبار التي كانت تحت نفوذ البساسيري^(٥٩)، وهنا استغل الوزير هذه الأحوال فاستقبل أصحاب قريش العقيلي الذين استغلوا هذه الحالة المتردية فقاموا بالسطو على أموال وأمتعة البساسيري، وبرغم طلب الأخير من الوزير تسليم هؤلاء إلا ان الوزير رفض تسليمهم وأعانهم بالهرب إلى الانبار^(٦٠)، ونتيجة لرد الفعل قام البساسيري من جانبه بالتضييق على مصالح الوزير، فقطع مشاهراته من دار الضرب، وحمله مسؤولية اضطراب الحال في البلاد وأنه يعمل لصالح السلاجقة^(٦١)، ولم يكتف بذلك بل استولى على الانبار وجاء بأبي الغنائم بن المحلبات نكاية بالوزير لان المذكور كان خليفة، فشهّر به ببغداد وقرر صلبه^(٦٢)، وهكذا تحول الصراع بين الوزير و البساسيري، فاستغل خروج البساسيري إلى واسط صحبة الملك الرحيم في سنة ٤٤٧هـ-١٠٥٥م فتقدم بطلب إلى الخليفة يسمح به لجماعة من العلماء (الحنابلة) بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون أصحاب الديوان بمعاونتهم، فأجاب الخليفة إلى ذلك، فشرع العلماء في ذلك وحدث شغب كبير طالت من خلاله أموال البساسيري^(٦٣)، فلما وصلت الأخبار إلى البساسيري اتهم الوزير بذلك وإن ما تم من تدبيره^(٦٤)، فتعاضم الخلاف بينهما حتى أن الوزير أغرى الحنابلة بالتشجيع على البساسيري، ثم أذن للعامة باستباحة دوره وأمواله والتنكيل بأعدائه^(٦٥)، ثم تقدم إلى الخليفة بوجوب التخلص منه، إلا ان الخليفة لم يستعجل الأمر وأرجأ طلب وزيره إلى وقت غير هذا الوقت^(٦٦)، ولكن الوزير بغية التخلص من عدوه سلك طرقاً أخرى كتهمة التعاون مع الفاطميين لإسقاط الخلافة، واستقدم لأجل ذلك جماعة من جند البساسيري شهدوا عليه بذلك، فكتب الخليفة بذلك إلى الملك الرحيم يعلمه بتلك الأنباء، ووجوب تركه والعودة إلى بغداد لممارسة مهامه، فلما عرف البساسيري هذه الأنباء هرب إلى الحلة^(٦٧)، وبذلك تخلص الوزير من عدوه.

وفي هذا الوقت تعزز موقف الوزير حين أعلن السلطان عزمه على زيارة بغداد ومقابلة الخليفة، ثم الذهاب لأداء فريضة الحج والمسير إلى الشام ومصر لإسقاط حكم الفاطميين^(٦٨) وهذه الزيارة كانت نصراً جديداً للوزير لأنه كان يرغب في ذلك ويرى من أولى المهمات إسقاط الدولة الديلمية^(٦٩)، فبعد أن وصلت الأنباء بوصول السلطان السلجوقي قرب بغداد خرج الوزير على رأس وفد كبير في استقبال السلطان وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من رمضان سنة ٤٤٧هـ-١٠٥٥م^(٧٠) وهكذا حقق الوزير بعض ما يطمح اليه وهو الاستعانة بقوة خارجية يمكن ان تحفظ هيبة الخلافة، وتصد مطامع الآخرين، وان كان ذلك يعني وفي المستقبل القريب نقل الحالة من طامع إلى طامع آخر، وفي هذه الظروف يحدثنا التاريخ بأن البساسيري لم يكتف بالهرب ويركن إلى الراحة، بل على العكس من ذلك فأخذ يخطط من الانتقام من الوزير، فسار من الحلة إلى الشام وأخذ يعد العدة للانقضاض على عدوه فجند جماعة كبيرة من أمراء العرب في كل من الشام والجزيرة والحلة وأغراهم بالأموال ووعدهم بالسلطة، وكل ذلك كان يتم بدعم فاطمي^(٧١).

في سنة ٤٥٠هـ-١٠٥٨م ترك السلطان طغرل بك بغداد لمواجهة المتمردين في همدان^(٧٢)، فاختل الوضع في البلاد وهي أحوج ما تكون إلى قوة تعيد هيبة الخلافة وتحقق طموحات الخليفة ووزيره.

وفي نفس السنة تقدم البساسيري بقواته تجاه بغداد بعد أن خرجت جميع جند السلاجقة للحاق بالسلطان عندها أيقن الوزير ألا مناصل من المواجهة مع عدوه. برغم عدم خبرته بفنون القتال، ورأى أن لا موقف أمامه إلا هذا، رغم نصيحة عميد العراق له بعد المناجزة، وانتظار نجدة قد تأتي من السلاجقة^(٧٣)، فبادر إلى القتال معتمداً على العامة، إلا ان ذلك لم يكن بصالحه فانهزمت العامة وبقي وحده يدافع عن وحدة الخلافة، ولما رأى ان الأمر ليس لصالحه طلب الأمان له وللخليفة من قريش بن بدران العقيلي^(٧٤)، إلا ان البساسيري كان متعطشاً لدم غريمه،

فسيق الوزير إلى مصيره المحتوم وهو يرى بعينه أحلامه تتهاوى والرايات الفاطمية تنصب في دار الخلافة ويخطب للمستنصر بالله على منابر بغداد^(٧٥)، وكانت آخر كلماته أن قال (الحمد لله الذي أحياني سعيداً وأماتني شهيداً)^(٧٦) وهكذا انتهى هذا المشهد من التحديات التي واجهت الوزارة العباسية ليأتي مشهد آخر من التحديات الجسيمة على يد القوة السلجوقية.

المبحث الثاني

مؤسسة الوزارة في عهد سيطرة السلاجقة على الخلافة

لم يكن حال الوزير في العهد السلجوقي أحسن حالاً مما كان في عهد البويهيين، فشهوة الحكم والتسلط هي السمة الغالبة على سلاطين ووزراء السلاجقة طيلة الفترة التي نورخ لها. فالسلاجقة الذين جاءوا لإنقاذ الخلافة، سرعان ما ظهرت أطماعهم، وأولها إكراه الخليفة على تزويج ابنة السلطان طغرل بك ولما رفض أول الأمر، أمر وزيره بالقبض على قطائع الخليفة وضيق عليه ولم يترك له سوى القليل، ولم يرفع عنه هذا التضيق حتى وافق على ذلك الزواج سنة ٤٥٥هـ - ١٠٥٨م^(٧٧)، وهذا يعد تجاوزاً على تقاليد الخلافة، وامتھانا لكرامة الخليفة الذي أصبح العوبة بيد السلاطين فجرد من صلاحياته ولم يبق بيده إلا نقش اسمه على السكة والخطبة له والقيام ببعض المهام الدينية، ويدل على ذلك تقويض الخليفة القائم بأمر الله عام ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م بتفويض السلطان السلجوقي جميع أموره بقوله:

(أمير المؤمنين حامد لسعيك، شاكر لفضلك، أنس لقربك، زائد الشغف بك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، ورد إليك في مراعاة عبادته، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمه عليك، وعهدك في ذلك، واجتهد في عمارة البلاد، وإصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم)^(٧٨)

ان هذه الحالة المذلة من جانب سلاطين السلاجقة تجاه الخلفاء تنعكس بطبيعة الحال على وزرائهم.

تولى في الخمسين سنة المتبقية من القرن الرابع ثلاثة من مشاهير الوزراء للخليفة

العباسي هم على التوالي

١. فخر الدين بن جهير

٢. عميد الدولة بن جهر

٣. أبو شجاع الروذراوري

فأول هؤلاء الوزراء:

فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير^(٧٩)، استوزر للخليفة القائم بأمر الله وكان سياسياً بارعاً، فأعجب به الخليفة ولقبه بفخر الدولة شرف الوزراء^(٨٠)، ورغم كفاءته وحسن أدائه إلا أنه لم يكن مرغوباً به من قبل السلطنة السلجوقية وخصوصاً وزيرها نظام الملك^(٨١)، ولما اشتدت المنافسة بينهما، طلب الوزير السلجوقي من الخليفة القائم بعزله، فامتنل الخليفة للأمر وقام بعزل وزيره^(٨٢)، وهذا أول تحدٍ للخلافة من قبل التسلط السلجوقي، لان الخليفة كما أسلفنا ليس له من الأمر شيء، سوى الاستجابة لما يراه السلطان ووزيره، وفي سنة ٤٦١هـ - ١٠٦٨م طلب الخليفة من الوزير السابق بالعودة ثانية لاستلام الوزارة^(٨٣).

وهذا يدل على أن الذي تولى الوزارة بعد ابن جهير لم يكن أهلاً لهذا المنصب فاضطر الخليفة إلى إرجاعه ثانية وعندما رجع إلى الوزارة وبأشر أعماله، ظهرت الاضغان من جديد لدى السلاجقة، فطلب السلطان ملكشاه من الخليفة المقتي بأمر الله عزل وزيره بتهمة أنه كان سبباً في الفتنة التي وقعت بين الشافعية والحنابلة، فاستجاب الخليفة لطلب السلطان وعزل وزيره وسجنه^(٨٤)، ارضاءً للسلطان، إلا أن الوزير نظام الملك السلجوقي تدخل لدى الخليفة فأطلق سراحه واستوزر ولده^(٨٥)، وهكذا فإن السلطان يأمر بالعزل والخليفة يعزل ويسجن، والوزير

يتدخل في إطلاق سراح الوزير من السجن ويستوزر ولده، وكان الخليفة والوزير هما لعبة بيد السلاجقة يتلاعبون بها حسب أهوائهم.

وأما الوزير الثاني فهو:

عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن جهير^(٨٦)، فقد كان قائداً عسكرياً، اديباً، عارفاً بتدبير سياسة الدولة^(٨٧)، وقد أعجب به السلطان السلجوقي ووزيره نظام الملك وزوجة ابنته زبيدة^(٨٨)، وعندما قام الخليفة المقتدي بأمر الله بعزل عميد الدولة عن الوزارة، غضب السلطان السلجوقي ووزيره على هذا الإجراء وطلباً من الخليفة إعادته للوزارة، فاستجاب الخليفة لطلبهما وأعيد إلى الوزارة^(٨٩)، فكان هذا طعناً في هبة الخلافة وتدخل سافراً في صلاحيات الخليفة، واشعاراً له بأن العزل والإعادة ليس من شأنه، ولكن بيد السلطان ووزيره، ولكن رغم الأعمال السياسية التي قدمها هذا الوزير للسلطان في فتح بعض البلدان^(٩٠)، وعلو مكانته عند الخليفة وأهل بغداد، إلا أن الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك السلجوقي^(٩١)، قرر عزله واعتبر وجوده خطراً عليه وعلى السلطنة، فطلب من الخليفة عزله وكالمعتاد لم يستطع الخليفة رد هذا الطلب فقام بعزل وزيره وكان ذلك سنة ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م^(٩٢) وأخيراً الوزير ظهير الدين أبو شجاع محمد بن الحسين الرونراوري^(٩٣)، كان هذا الوزير شجاعاً عارفاً بالفقه والحديث مؤرخاً شاعراً^(٩٤) تولى الوزارة للخليفة المقتدي بأمر الله عام ٤٧٦ هـ - ١٠٨٣ م وكان محبوباً من الخليفة والعامّة لكرمه واهتمامه بأمر الفقراء فقبل أنه عندما تولى الوزارة كان يملك حوالي ستمائة ألف دينار أنفقها على الضعفاء والمحتاجين^(٩٥)، إلا أن هذا الوزير كسابقيه ابتلي بسخط السلاجقة فسعى نظام الملك الوزير السلجوقي بعزله يؤيده في ذلك السلطان السلجوقي، فاستجاب الخليفة وعزله^(٩٦) وهكذا يتضح مما تقدم قوة التحديات التي واجهت الوزارة في هذا القرن، فضلاً عن الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تضافرت كلها للاضرار بمؤسسة الوزارة ذلك بدوره إلى إضعاف الخلافة عموماً.

الخاتمة

- بعد حمد الله تبارك وتعالى على إعانته لإتمام هذا البحث فقد توصلت إلى النتائج التالية:
١. أن الوزير كان في الدولة العباسية هو المدبر الأول للأمور السياسية والإدارية، ولا تعلق على كلمته إلا كلمة الخليفة، وقد ظلت سلطته التدبيرية هذه بالرغم مما طرأ على الوزارة من اضطراب رافق التدهور العام لسياسة الدولة.
 ٢. وفي العهد البويهي بطلت وزارة الخليفة ولم يعد له وزير يعتمد في تدبير أمور دولته، إنما يكون له كاتب على إقطاعه وشؤون أسرته.
 ٣. بعد الربع الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ونتيجة لضعف النفوذ البويهي في العراق، قرر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بإلغاء الحظر الذي فرضه البويهيون قرابة قرن من الزمان، والذي كان حرماناً للخليفة من ممارسة حقوقه وصلاحياته باتخاذ وزيراً له.
 ٤. وكان تسلم ابن المسلمة الوزارة في هذا الظرف بمثابة التأكيد على ولادة جديدة لمؤسسة الوزارة، ومباشرة الصلاحيات المفقودة في ظل التسلط البويهي، وفيه أيضاً تنبيه على رجال الدولة بوجوب القيام بمسؤولياتهم ودورهم في الدفاع عن مؤسسة الخلافة باعتبارها الممثلة للجميع.
 ٥. كان تولي ابن المسلمة للوزارة يمثل المنفذ للخلافة. ذلك لتكالب القوى الداخلية والخارجية، وكلها تحديات جبارة تحمل أعبائها ونتائجها ابن المسلمة وقدم نفسه ضحية لها.

٦. وبعد انتهاء التحديات التي واجهت مؤسسة الوزارة في النصف الأول من القرن الخامس وقتل الوزير ابن المسلمة نتيجة لتصديه للتحديات الخارجية والداخلية، جاء دور السلاجقة بحجة إنقاذ الخلافة العباسية من التحديات التي كانت تواجهها وخصوصاً الدولة الفاطمية، ولكن ما ساءت علاقاتهم مع الخلافة وهم الذين تظاهروا بحمايتها واحترامها، فانتهكوا حرمة الخلافة بطلب زواج السلطان من ابنة الخليفة والتشديد على الخليفة والحجر عليه والاستيلاء على إقطاعه حتى وافق على ما طلب منه مكرهاً.

٧. وأهم التحديات التي واجهتها الوزارة في عهد السلاجقة كان الوزير والخليفة العوبة بيد السلطان ووزرائه، ويكون حال الوزير في ذلك العزل رغماً عنه وعن الخليفة.

هذا أهم ما ظهر لي من نتائج والله الموفق .

هوامش البحث

- (١) الماوردي: علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ-١٠٥٨م) الوزارة - أدب الوزير - تحقيق محمد سليمان وفواد عبد المنعم. دار الجامعات المصرية للطباعة، الإسكندرية. ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م: ص ٣١.
- (٢) ابن طباطبا: محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ-١٣٠٦م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر. بيروت ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م: ص ١٥٣.
- (٣) الماوردي: علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ-١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد عبد السلام - دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م: ص ٢٥، أبو يعلى: محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨هـ-١٠٦٤م) الأحكام السلطانية - تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ص ٣٠.
- (٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الاشيلي الحضرمي المالكي. فقيه محدث مؤرخ له مؤلفات كثيرة. توفي سنة ٨٠٦هـ-١٤٠٣م. ابن العماد عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ-١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩م: ج ٧، ص ٤٤.
- (٥) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٦هـ-١٤٠٣م) المقدمة - تحقيق سعيد محمود عقيل - دار الجيل بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ص ٢١٧.
- (٦) فوزي: د. فاروق عمر: النظم الإسلامية - دراسة تاريخية - دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط ١، ١٩٨٧م: ص ٤٦.
- (٧) البرامكة: أسرة فارسية تركت الوزارة خلال خلافة الرشيد وكان يضرب بهم المثل في الجود والكرم، وتغنيت بفضلهم الشعراء. ينظر: الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ-٨٣٩م) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨م: ج ٣، ص ٢١٧. الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ-٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ج ٨، ص ٢٨٦.
- (٨) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٦هـ-١٤٠٣م)، تاريخ ابن خلدون مؤسسة جمال، بيروت، ١٩٧٩م: ج ٣، ص ٢٢٣.
- (٩) آل سهل: أسرة فارسية كانوا وزراء الخليفة المأمون وهم من صنائع البرامكة، وكانت لهم جبهة في غرة الدهر. ينظر: ابن طباطبا: الفخري: ٢٢٠.
- (١٠) الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ-٩٤٢م)، الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري - مطبعة مصطفى الياس الحلبي - القاهرة، ١٩٣٨م: ص ٣٠٧.
- (١١) الفضل أبو سهل، من أولاد ملوك الفرس، كان أبوه سهل مجوسياً فأسلم أيام الرشيد، وكان الفضل حليماً عالماً بآداب الملوك عارفاً بالنجوم، استوزر للمأمون قتل سنة ٢٠٢هـ-٨١٥م، ينظر: ابن طباطبا: الفخري: ٢٢١-٢٢٢.
- (١٢) الجهشيارى: الوزراء والكتاب: ص ٣٠٥.
- (١٣) المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المقصد، بويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ وتوفي سنة ٣٢٠هـ. ابن طباطبا: الفخري: ٢٦٠.
- (١٤) مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ-١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم. مطبعة شركة التمدن، القاهرة، بلات: ج ٥، ص ١٤٣.

- (١٥) أبو العباس أحمد بن المعتذر بن المعتضد، في أيامه ظهرت الدولة البويهية وضعف أمر الخلافة في توفي سنة ٣٢٩هـ، ابن طباطبا: الفخري: ٢٨٠.
- (١٦) مسكويه: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣٥١.
- (١٧) المصدر نفسه: ج ٥، ص ٣٥١.
- (١٨) بني بويه: أسرة فارسية يرجع نسبها إلى يزدرج آخر ملوك الفرس خرجوا من بلاد الديلم واستولوا على البلدان وكانوا ثلاثة أخوة. ينظر: ابن الأثير: علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج ٨، ص ٢٦٤.
- (١٩) مسكويه: المصدر السابق: ج ٥، ص ٥٣١.
- (٢٠) كالوزير الفضل بن الحسين المعروف بابن العميد والصاحب إسماعيل بن عباد وغيرهما. ينظر: مسكويه: تجارب الأمم: ج ١، ص ٢٧٧.
- (٢١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ: ج ٨، ص ٦٧.
- (٢٢) أبو الحارث ارسلان بن عبد الله، مقدم الأتراك ببغداد، استطاع أن يسيطر على بغداد ويحكمها باسم الخليفة الفاطمي مدة من الزمن، ينظر: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ج ٩، ص ٤٥٠، ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، المصباح المضي في خلافة المستضي. تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م: ج ١، ص ٥٩٠.
- (٢٣) ناجي: د. عبد الجبار: ثورة الباسيري في بغداد، مجلة كلية الآداب-جامعة البصرة، العدد: ٥، البصرة ١٩٧١: ص ٤٥.
- (٢٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٧.
- (٢٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ج ٤، ص ٥٦٤.
- (٢٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ٩، ص ٣٩٩.
- (٢٧) الثعالبي: عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ-١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٥: ص ١٣٣.
- (٢٨) القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المعتذر كان من أفاضل الخلفاء كثير الخير والمعروف والعبادة. ابن طباطبا: الفخري: ص ٢٩١.
- (٢٩) أهل الاعتزال: فرقة من فرق المسلمين الكلامية، ظهرت في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء الغزال ويسمون أهل العدل والتوحيد وقد اعتنق المأمون والمعتصم والوائق عقيدتهم وهم يقولون بالأصول الحجة: التوحيد والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: جار الله: د. زهري المعتزلة، نشر المكتبة العصرية. بيروت، ط ٣، ١٩٧٤: ص ١٣.
- (٣٠) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٠٩.
- (٣١) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١١٠.
- (٣٢) السلاجقة: قبيلة من قبائل الغز الأتراك، تنسب إلى كبيرها سلجوق بن تقاق، كانوا في البداية من القبائل البوية، وقد توحدوا تحت راية سلجوق بن تقاق، وقد حاربهم السلطان مسعود الغزنوي فانتصروا عليه وأصبحت خراسان تحت حكمهم. ينظر: البنداري: الفتح بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، تاريخ دولة آل سلجوق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م: ص ٧، زيدان: جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧: ج ٣، ص ٨.
- (٣٣) أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق المعروف بطغرل بك من أقوى ملوك السلاجقة، ينظر: الاربلي: عبد الرحمن بن سنبط (ت ٧٧٦هـ-١٣٧٤م)، خلاصة الذهب المسبوك، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٨: ص ٢٦٥.
- (٣٤) البغدادي: دولة آل سلجوق: ص ١٠.
- (٣٥) الراوندي: محمد بن علي (ت ٧هـ) راحة الصدور وآية السرور. ترجمة إبراهيم الشواربي، دار القلم، القاهرة، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م: ص ١٦٦.
- (٣٦) البغدادي: دولة آل سلجوق: ص ٨-٩.
- (٣٧) المصدر نفسه: ص ٩.
- (٣٨) المصدر نفسه: ص ١٠.
- (٣٩) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٥٤-٥٥، ٥٥.

- (٤٠) كان ابتداء هذه الدولة بالغرب سنة ست وتسعين ومائتين ثم فتحوا مصر وابتنوا القاهرة وأصبحت عاصمة لهم. وانتهت هذه الدولة سنة سبع وستين وخمسمائة على يد القائد صلاح الدين الأيوبي. ينظر: ابن طباطبا: الفخري: ص ٢٦٢.
- (٤١) المقرئزي: احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م)، اتعاط الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف، تحقيق محمود الشيال، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٣٨٧هـ: ج ٢، ص ٨١٩.
- (٤٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٨١٩.
- (٤٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٧٩٣.
- (٤٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٧٩٣.
- (٤٥) الصلابي: د. علي محمد: دولة السلاجقة، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ص ٥٩.
- (٤٦) المرجع نفسه: ص ٦١.
- (٤٧) هو علي بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر بن الحسن المكنى بابي القاسم والمعروف بابن المسلمة، وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله. كان ابن المسلمة مضطرباً بعلوم كثيرة من الفقه والحديث والفرائض والنحو وغيرها وقد اهلته هذه العلمية الى منصب الوزارة قتل سنة ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م. ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ١١، ص ٣٩١ وينظر: ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ٢٠٠ وينظر ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٠.
- (٤٨) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٢٧.
- (٤٩) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٥٣.
- (٥٠) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٠.
- (٥١) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١١٩.
- (٥٢) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٢٧.
- (٥٣) سبط ابن الجوزي: يوسف بن قراوغي (ت ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق جنان جليل محمد، الدار الوطنية للطباعة. بغداد، ١٩٩٠م: ص ٣٩١.
- (٥٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٠-١٦١.
- (٥٥) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٥٤.
- (٥٦) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٥٤، المقرئزي: اتعاط الحنف: ج ٢، ص ٢٢٣.
- (٥٧) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ص ٢٩٢.
- (٥٨) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٠.
- (٥٩) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٦٧.
- (٦٠) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٦٨.
- (٦١) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٠.
- (٦٢) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٦١.
- (٦٣) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٧٠.
- (٦٤) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٧٠.
- (٦٥) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٧٠.
- (٦٦) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٢.
- (٦٧) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٧١.
- (٦٨) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٦٤. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ج ٤، ص ٤٩٣.
- (٦٩) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٧١.
- (٧٠) الراوندي: راحة الصدور: ص ١٦٩.
- (٧١) المقرئزي: اتعاط الحنف: ج ٢، ص ٨٣.
- (٧٢) ابن الأثير: الكامل: ج ٨، ص ٨٣.
- (٧٣) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٨٣.
- (٧٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٩٣.
- (٧٥) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٩٣.
- (٧٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ١١، ص ٣٩٢.
- (٧٧) البنداري: دولة آل سلجوق، ص ٢٣.
- (٧٨) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨، ص ١٨١.
- (٧٩) ينظر: ابن الأثير: الكامل: ج ١٠، ص ١٨، ابن تغري بردي: يوسف بن تغري الاتابكي (ت ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٣م: ج ٥، ص ١٣٠.

- (٨٠) ابن الجوزي: المنتظم: ج٨، ص٢٢٦. ابن الأثير: الكامل: ج١٠، ص٢٣.
- (٨١) البنداري: دولة آل سلجوق: ص٥٥، حمادة: محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ص١٧٩..
- (٨٢) المصدر نفسه: ص٥٥.
- (٨٣) المصدر نفسه: ص٣٦.
- (٨٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج٨، ص٣١٧.
- (٨٥) ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م: ج١٢، ص١٢. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ-١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، دار الفكر. بغداد، ١٩٧٤م: ص٣٩١.
- (٨٦) ابن الأثير: الكامل: ج١٠، ص٢٩٩.
- (٨٧) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص١١٨.
- (٨٨) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢، ص٩٩.
- (٨٩) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص٦.
- (٩٠) ابن الأثير: الكامل: ج١٠، ص١٣٦.
- (٩١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج٥، ص١١٦.
- (٩٢) ابن الأثير: الكامل: ج١٠، ص٢٩٨.
- (٩٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص٩١.
- (٩٤) المصدر نفسه: ج٩، ص٩١. الطاهر: د. علي جواد: خلفاء بني العباس ووزراءهم في شعر العصر السلجوقي، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العدد (٨)، ١٩٦٠، ص٢٠٣.
- (٩٥) المصدر نفسه: ج٩، ص٩٠-٩١.
- البنداري: دولة آل سلجوق: ص٧٨

